

مشروع السلام بروية شعراء انتفاضة الأقصى المباركة

د. يوسف شحدة الكحلوت

كلية الآداب - قسم اللغة العربية - الأدب والنقد

الجامعة الإسلامية - غزة - فلسطين

تاريخ استلام البحث: 2007/9/11م ، تاريخ قبول البحث: 2008/2/20م

ملخص: درس هذا البحث إنتاج الشعراء في مرحلة (انتفاضة الأقصى)، ومع تناول مشروع (السلام) تحديداً ، من خلال عدة مباحث، تمثلت في رصد رؤية أولئك الشعراء لمشروع السلام ، ثم موقفهم من صناع السلام عند الأطراف المختلفة، بالإضافة إلى تقييمهم لثمار السلام ، فالحل الذي ارتأوه لقضية فلسطين.

The Peace Process in the View of the blessed Al – Aqsa Uprising Poets

Abstract: This study is concerned it with the poets' production during Al-Aqsa Intifada (Uprising) era. In its different sections, the study focuses on the peace process and investigates the poets' viewpoints concerning the peace project and their attitude towards the different peace-partners. In addition, the study reflects the poets' evaluation of peace outcomes and the solutions they propose to the Palestinian question.

المقدمة

(السلام) حلم يراود البشرية منذ قديم الزمان ، وكل أمة سليمة في دينها سوية في معتقدها ، معتدلة في فكرها تسعى للسلام ، وتبذل كل جهد ؛ لأجل تحقيقه ، إلا أن السلام المنشود هو السلام العادل الذي تأخذ فيه الأمم كل حقوقها دون تفريط في حقها الشرعي وإرثها التاريخي في أرضها ومقدراتها ، وعادة ما كانت تأتي مشاريع الصلح ومبادرات السلام بعد حروب طاحنة يفرض فيها من كتبت له الغلبة شروطه على المنهزم ، وليس أدل على ذلك ما انتهت إليه الحرب العالمية الثانية حين فرض (الحلفاء) شروطهم على (اليابان) .

أما في منطقتنا العربية فقد اعتصبت فلسطين من قبل الصهاينة دون حق ديني ولا سند تاريخي رغم كل المزاعم والأكاذيب التي يروجونها ، ووقفت حينها المرجعيات الشرعية للأمة تؤكد على وقفية أرض فلسطين(1)، وأنها حق لكل مسلم ؛ لا يجوز التفاوض حولها أو التنازل عن أي شبر منها ، وأي اتفاق يبرم في هذا الإطار حرام شرعاً وهو ما صدر عن علماء الدعوة الإسلامية الذي ورد فيه " أنه لا يجوز بحال من الأحوال الاعتراف لليهود بشبر من أرض فلسطين ، وليس لشخص أو جهة أن تقر اليهود على أرض فلسطين أو تتنازل لهم عن أي جزء منها أو تعترف لهم بأي حق فيها " .

د. يوسف الكحلوت

إن هذا الاعتراف خيانة لله والرسول وللأمانة التي وُكِّلَ المسلمون بالمحافظة عليها، وقال تعالى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ " وأي خيانة أكبر من بيع مقدسات المسلمين؟! والتنازل عن بلاد المسلمين إلى أعداء الله ورسوله والمؤمنين؟! (2) .

أما المرجعيات السياسية والعسكرية في المنطقة العربية فقد كان ارتباطها الاستعماري، وضعفها العقدي، ومصالحها الذاتية؛ سبباً في عدم التزامها بفتي المرجعيات الدينية؛ فبقيت تتقاذفها المؤامرات السياسية، وتؤثر فيها ضغوط الشرق والغرب؛ لأجل القبول بمشروع السلام، والتنازل عن جزء كبير من فلسطين: العروبة، الإسلام، والتاريخ، وقد بدأت تلك الضغوط بمشروع (ليندون جونسون) بُعيد حرب عام (1967) فمروراً بمشروع (روجرز) (1969-1970) ثم مشروع (كامب ديفيد) (1977-1979) (3) ثم انتهت بوثيقة جنيف (4)، وكل هذه لم تبق لأهل فلسطين ولا للاجئين عودة إلى ديارهم، وقد كان الشعراء في ظل تلك التنازلات أكثر استشعاراً بخطر تلك المشاريع، فقد تحدثوا عنها وعن خطرهما على مصير الأمة، وكان من أولئك الشعراء (هاشم الرفاعي) حين قال عام 1958:

سيحدثونك يا بني عن السلام
إياك أن تصغي إلى هذا الكلام!
كالطفل يخدع بالمنى حتى ينام
صدقتهم يوماً فأوتني الخيام
وغدا طعامي من نوال المحسنين
يلقى إليّ إلى الجياع اللاجئين (5)

كما عبّروا أيضاً عن انتفاضة شعب فلسطين الأولى وانتفاضة النفق وأخيراً انتفاضة الأقصى التي نحن بصدددها، والتي نريد أن نرى من خلالها موقف الشعراء من مشروع السلام بين أصحاب الأرض المعتدى عليهم، وبين الغاصب المعتدي .

جاءت رؤية شعراء انتفاضة الأقصى لعملية السلام منبثقة من الواقع ومن الأحداث التي مرَّ بها الشعب الفلسطيني؛ لذلك نجدهم يتناولوا هذه العملية وما زالوا من مختلف جوانبها، فمنهم من تحدث عن مشروع السلام: وصفاً وتعليقاً واستنكاراً له، ومنهم من تناول الحديث عن صناع السلام سواء من الجانب العربي أو الجانب الصهيوني، ومنهم من تناول عواقب السلام على الأرض والإنسان الفلسطيني وما أحدثه من آثار سلبية، ومنهم من خرج من ذلك كله أجمع باحثاً عن حل للقضية الفلسطينية؛ بعد أن أثبتت الوقائع فشل السلام في الوصول للحقوق العادلة

مشروع السلام برؤية شعراء انتفاضة الأقصى المباركة

للشعب الفلسطيني ، وقد تعاضدت تلك الرؤية مع تشكيلهم الفني للشعر ؛ مما أظهر صدق رؤيتهم ؛ فالعمل الفني يعدُّ " نظامًا كليًا يتضمن موقف الشاعر ورؤيته الفنية لذلك الموقف وتشكيله الجمالي لتلك الرؤية ، ومن ثم يكون موقف الشاعر محددًا بالضرورة لرؤيته الفنية ، وتكون رؤيته الفنية محددة بالضرورة للكيفية التي يشكل بها ذلك الموقف تشكيلاً جمالياً ، بقدر ما يكون هذا التشكيل الجمالي محددًا للرؤية الفنية التي تحدد بدورها موقف الشاعر وتفسيره " (6) لذلك تعددت الظواهر الفنية في شعر انتفاضة الأقصى ولم يكن ذلك التعدد نابغاً من اختلاف في رؤية الشعراء لمشروع السلام ، ولكن جاء نابغاً من تناول كل شاعر من أولئك الشعراء لجانب من جوانب عملية السلام أو لزاوية من زواياها سابقة الذكر ، ومن أبرز الظواهر الفنية التي يمكن أن نلمسها في شعر انتفاضة الأقصى : التكرار والإيحاء ، الاستلهام ، والدراما وكذلك الإيقاع والصورة الفنية .

المبحث الأول

رؤية الشعراء لمشروع السلام

لقد اتفقت رؤية شعراء انتفاضة الأقصى لمشروع السلام ، فكلهم أجمعون نظر إليه من الناحية السلبية، التي عززتها مجريات الواقع الذي يتنافى مع أبسط شروط السلم ومتطلباته، (فسعد الغامدي) لم يره إلا وهماً وخيالاً أبعد ما يكون عن الواقع والحقيقة ، والشواهد على أرض فلسطين تنبئ بكل: عدوان وظلم وقهر :

وبأن ما أسموه صلحاً...

أو سلاماً

من خيالات الكرى... (7)

لقد تعاضد الفعل في جملة "أسموه" مع فكر الشاعر؛ لأنه لا يقر بتسمية ذلك المشروع بالصلح أو السلام؛ لذلك ترك التسمية لهم ؛ ففتح لهم الخيار في الأسماء من خلال "أو" ؛ ليحسم الأمر في النهاية بأن كل ذلك من "خيالات الكرى" والتي جاءت بصيغة الجمع ؛ لتشمل كل ادعاءات الأحلام التي لا طائل منها ؛ ولتعكس صدى الواقع السلمي الذي لا فائدة منه .
واستنكر (أحمد الفيقي) أن يكون من بيننا من ينشد السلام ذلك المستحيل كما يراه؛ فاليهود يلجون طريقه عبثاً وإشغالاً للوقت وإمعاناً في التآمر؛ كي تبدو طريقه خسارة من البداية إلى النهاية ، فهم شرذمة امتهنت نكث العهود : " أو كلما عاهدوا عهداً نبذه فريق منهم " (8):

تنشدونه

تنشدون المستحيل ؟

تنشدون ...؟

إني أراكم في طريق (المستديرة) تسلكون

فالمبتدا ... والمنتهى

في خطوة ... أو في خطأ

في البداية تنتهون

في النهاية تخسرون

ترقبوا منهم سلاماً؟! إنهم متآمرون!

مهما بدا من عزمهم على السلام ... سينكثون(9)!

جاء الاستفهام الإنكاري في هذه المقطوعة الشعرية مقترناً بالفعل المضارع المتكرر ثلاث مرات ؛ ليعطي الاستفهام ديمومة مترددة مع ديمومة المضارع وتجده ، الذي يشي بإصرار أولئك على طريق السلام بأي ثمن ، فكلما تردد المضارع تردد معه الاستفهام الإنكاري في نغمة دائمة مستترة لكل طلب أو مناقشة لذلك الطريق المستحيل ، وقد قام التكرار هنا بوظيفة إيحائية عبّرت عن كلف الشاعر واهتمامه بالمعنى الذي ساقه ومدى رغبته في التأكيد عليه (10) وقد جاءت الألفاظ بعد ذلك موافقة لذلك المستحيل ، فطريقه "مستديرة" لا آخر لها ، فالبداية قرنت بالانتهاء ، والنهاية بالخسران ، وهذا التضاد الذي جاء به الشاعر بين (المبتدا والمنتهى) و(البداية والنهاية) يشي بالتناقض الحادث على الأرض الفلسطينية.

اتفق الكثير من شعراء انتفاضة الأقصى مع (أحمد الفيافي) في هذا المفهوم عن السلام ، وإن اختلفت طرائقهم في وصفه ، (فوليد الغرير) أقام حواراً رائعاً مع أخته الصغيرة قدم لنا من خلاله أيضاً لمفهوم السلام _ المفروض على المنطقة _ الذي بدأت صورته المذلة تتكشف شيئاً فشيئاً ، حتى غدا سلام: ذل وانهازم ، ضياع وهوان ، قتل ودمار، وتآمر على الدين والأوطان ، فما عاد ينظلي على الصغار ، فكيف ينغمس فيه الكبار؟!

إن الخلاص أختي

سيكون في كف السلام

كف السلام؟؟؟!!!

وضّح...؟

فإني اليوم لا أستطيع فهماً للكلام؟

إن السلام صغيرتي ...

أن نمدد اليمنى إلى (بارك) ذلاً وانهازم

مشروع السلام بروية شعراء انتفاضة الأقصى المباركة

إن السلام ...

أن نعلن الذكرى ونطفئ شمعة في كل عام

إن السلام ...

أن نرتضي كفرةً يعانق ديننا خبث يخالطه الوئام(11)

يستثير الشاعر بهذا المفهوم عن السلام أخته الصغيرة التي تملكها الغضب واعتصرها الألم؛ حرقه على سلام لم تجد فيه: عزًا ولا نصرًا ولا كرامة أو إباء ، بل وجدته انحناء في انحناء ، وهراء في هراء ، وكأن هول الأحداث و غرابتها قد حولت الأطفال إلى حكماء ، فغدت عقولهم الصغيرة تدرك ما لم تدركه عقول الكبار:

فرأيت أختي قد تغير وجهها

وبدا يخالطه احمرار

ورنت إليّ بنظرة

والقلب ينبع منه نار

وتأوهت حزناً ...

وقالت في علو لا يخالطه رياء:

هذا سلام؟؟؟!!!

هذا ورب البيت يا قومي انحناء!

أما ترون فليس فيه اليوم نصر؟!

أين منه العز؟؟ بل أين الإباء؟!

هذا سلام؟؟؟!!! ليس هذا يا بني قومي سلام!

هذا هراء ... هذا هراء(12)!

إن هذا الحوار الدرامي الذي اختلطت فيها جميع ألوان الطيف الفني والتي أراد من خلالها الشاعر أن يصل بنا إلى مفهومه عن السلام إنما يعكس درامية الموقف الفلسطيني الذي انعكس بدوره على عبارات الشاعر التي جاءت حارة مليئة بالترديد الاستكاري ؛ مفعمة بالاستفهامات التعجبية وعلامات التنقيط التي تفسح المجال لذهن القارئ ؛ كي يخلق في سماء ذلك السلام المزعوم؛ عله يجد فيه: عزًا أو إباءً أو نصرًا " فالألفاظ ذات التأثير الدرامي هي مجرد ثغرات أو منافذ يطل منها الإنسان على أجزاء من عالم الشاعر النفسي ، إنها المقابل الصغير لتلك الأجزاء الحقيقية من ذلك العالم، إنها... متقابلات لفظية ذات رصيد نفسي ووجودي"(13).

د. يوسف الكحلوت

وقد اتفق (محمد صيام) مع صغيرة (وليد الغرير) في أن السلام "هراء" ، وأعطى هذا المفهوم مصداقية حين حشد إجماعاً حوله:

والكون يدرك شرقه أو غربه أن السلام مع الغزاة هراء(14)

وأكد (عبد الرحمن العشاوي) جازماً أن السلام مع اليهود وهمّ وأكذوبة كبرى ، ويستغرب أن يكون منا من يعتقد، والتاريخ كلّ يشهد بأن لا صلة تربط بين اليهود والسلام ، أو السلام واليهود ، فجاء ترديد اليهود بكل ما يحويه من: غدر ولؤم وخيانة ونكث للعهود ، وترديد السلام بكل ما يحويه من: أمن ، سلامة ، صفاء، وطمأنينة ؛ ليبرز مدى التناقض والتنافر بين هذين القطبين اللذين لا يلتقيان، بل من السخف والجهل أن يُظن أنهما سيلتقيان:

واعلموا أن السلام ظل رهناً بالقيود

ماله فينا وجود

أيهود وسلام؟؟ وسلام ويهود!؟

هذه الأكذوبة الكبرى

وفي التاريخ آلاف الشهود(15)

ولا يتردد عبد الغني التميمي في إعلان رفضه للسلام الذي بدا قبيحاً وبشعاً ؛ لأنه أصبح مرتبطاً بمواثيق مخزية وتواقيع مضيعة للأوطان ومهدرة للحقوق ، فضلاً عن أنه مفروض بقوة السلاح:-

نأبى السلام صفحة بذلنا موقعة

نأباه ذلة على جميع شعبنا موزعة

إن السلام واقع تفرضه مدرعة

فلن يشيد موطن على الهدى من ضيعه

ما أقبح السلام مهدرًا لحقنا وأبشعه(16)!

رسم الشاعر في هذه المقطوعة صوراً للسلام كما رآه، فهو: صفحة موقعة بالذل، وذلة موزعة ، وواقع تفرضه مدرعة ؛ لذلك جاء ترديده "نأبى ، نأباه" بداية الشطرين الأول والثاني، واللذين يحملان معنى الرفض متناغمًا مع نغمة التردد في قولنا: " بذلنا، ذلة " ثم تأتي المفارقة بين السلام المؤكد (بإن) والذي يشي ذكره بالأمن والاطمئنان ، وبين الواقع الذي تفرض فيه المدرعة ذاك السلام ، مع ما في ذلك من :عنف وقهر وتدمير ؛ مما يتنافى وروح السلام : معنىً ولفظاً ، ويؤكد ذلك ما صرح به رئيس وزراء الكيان الغاصب سابقاً: "لقد قامت دولة إسرائيل ، ولكن يجب أن نذكر أن إقليمنا لم يتحرر بعد وستستمر المعركة ...، إن الأسلحة العبرية هي التي

مشروع السلام بروية شعراء انتفاضة الأقصى المباركة

ستقرر حدود الدولة العبرية ... ، إن أية محاولة لتمزيق أوصالها ليست جريمة فحسب ، بل إنها كفر وضلال ... ، لا يمكن أن نشترى السلام مع أعدائنا بالمصالحة، إن هناك نوع واحد من السلام يمكن أن نشترى ، إنه سلام المقبرة ... " (17).

وقد استخدم الشاعر بعد ذلك الفعل المضارع "يشيد" المنفي بـ (لن) المستقبلية والذي ينفي نفيًا مؤبداً أن يكون أمثال أول من صناع السلام ممن يبني وطنًا ؛ لذلك أنهى الشاعر مقطوعته بفعل التعجب "ما أقبح" و"أبشع" المعطوف عليه؛ مما يشي بالاستغراب والنقزز والدهشة من ذلك السلام المهدر للحقوق ، المضيع للأوطان، وقد جاء حرفا القافية من أحرف الحلق وهي أقرب مكان نطقي من القلب مصدر المشاعر ومكمن القبول والرفض عنده .

كما استنكر (محمد العائد) وجود السلام ؛ لسببين :الأول:أن السلامة التي تعدّ حقًا طبيعيًا من أبسط حقوق الإنسان انتفت في ظلّه،والثاني:أن الطرف الذي يعقد معه ذلك السلام لا عهد له ولا أمان ، وهو ما أثبتته التاريخ والقرآن وأثبتته الوقائع على الأرض ، وقال الله تعالى : " أو كلما عاهدوا عهدًا نبذه فريق منهم " (18) " وقد اكتشف (هتلر) هذه الحقيقة القرآنية من معاملته لليهود في الواقع ، فقال : إذا فاوضك اليهود انقسموا فريقين ، فريق يعقد الاتفاق وفريق ينقضه " (19) قال الشاعر :

أين السلام ولا سلامة
من حتالات البشر—؟
إن الذي يرجو السلام
من اليهود قد انتحر(20)

إن وعي الشاعر بالواقع وبتاريخ اليهود جعله يستنكر حدوث السلام معهم "أين السلام"الذي تنتفي معه السلامة "ولا سلامة" لأن الذي يقدمه هم حتالات البشر، وقد أكد الشاعر نظرتة هذه (بان) في البيت الثاني حين جعل من يرجو السلام من اليهود قد انتحر ؛ فاستعمل الشاعر الفعل المضارع "يرجو" الذي يشي بحضورية الحدث ثم أتى الحكم الحتمي المسبق الذي حمله الفعل الماضي " انتحر"والمؤكد"بقد"؛ ليبين حتمية مصير من يسلك ذاك الطريق ، والشاعر هنا يرمي إلى الانتحار السياسي أو الفكري ؛ إنه انتحار تضيع معه الهوية والانتماء .

وتحدد مفهوم السلام عند (محمد الشهري) من خلال ما يحدثه هذا السلام على الأرض من: تقطيع للزيتون ، غرس للغرقد ، تحويل الأحرار عبيداً ، والمسجد معبداً، تأمين الأعداء، وقتل المصلين:-

سلام الموائد لا بد أن
يعود إليها فمنها ابتدا
سلام يقطع زيتوننا؛
ليغرس في أرضنا غرقدًا!
سلام يصير أحرارنا
عبيداً ومسجدنا معبداً!

سلام يؤمن أعداءنا ويقبلنا ركعاً سجداً (21)!

لقد ردد الشاعر الدال الكلمي "سلام" أربع مرات؛ لتأتي في كل مرة مضافة إلى هوامش جديدة تجعلها أكثر إثراءً للدلالات المعنوية، وقد ظهرت هذه الدلالات من خلال ما ارتكزت عليه كلمة الترديد "سلام" من جمل تفسيرية: "يقطع ، يخرس، يُصير، يؤمن، ويقتل"؛ ليعطي البعد الدلالي الصورة السلبية المقصودة من هذا الترديد، والتي تشي بفضاعة ذلك السلام ووحشيته وقسوته ، كما أن امتزاج هذا الترديد مع عناصر لغوية أخرى؛ وسع الدائرة المعنوية للألفاظ والعبارات من خلال إعطائها مفاهيم جديدة وهوامش مغايرة (22) وقد أراد الشاعر لصورته السلبية السابقة أن تبقى أكبر قدر ممكن في ذهن المتلقي من خلال استخدامه للأفعال المضارعة التي تشي بحضورية هذه الصورة في نفسه وحيويتها وتجدها.

إنّ اتفاق شعراء انتفاضة الأقصى في رؤيتهم لمشروع السلام أعطى هذه الرؤية مصداقية؛ باعتبارهم جهة تجيد قراءة الواقع؛ وتحسن استشراف المستقبل؛ وتقدر على سبر أغوار ذلك المشروع من خلال رؤيتها الثاقبة لأبعاده.

المبحث الثاني

رؤية الشعراء لصناع السلام

تطرق شعراء انتفاضة الأقصى إلى طرفي السلام العربي والغربي بالتحليل والتفصيل والتجريح، فقد وقف سعد الغامدي مذهولاً ووقفت معه كل الضمائر الحية؛ لتجأ بالشكوى من فعل صناع السلام أولئك ؛ ولتبرز جانباً من جحودهم لشعوبهم ؛ بتركها تتجرع ألوان الخسف، وهم يزدادون ميلاً إلى يهود ، ويقفون إلى جانبهم بملاحقة الدين والفضائل في نفوس الشباب ، ومحاوله قتل روح الجهاد؛ لتبقى الساحة مفتحة أمامهم ؛ ليغتتوا من الحرام ، في الوقت الذي يدعون فيه الوطنية شعاراً ، والمقاومة بوقاً زائفاً:

نشكو جحود بعضنا

ممن يميلون إلى يهود

بل يقفون في صفوفهم

ويتركوننا نصارع الضياع في مواسم الجحود

للقيظ ... للشقاء ... للريح ... للرعود ...

يلاحقون قيماً

تقيم في وجداننا

ويملنون من آلامنا ومن دموعنا

مشروع السلام برؤية شعراء انتفاضة الأقصى المباركة

جيوبهم ...

ويتخمون من جيوبنا بطونهم

ويرقصون فوق جثة الشهيد

بين امرئ وربه يفرقون

إذا علا نداء الحق

أقبلوا يلغون فيه ماهرين

ويبذلون للمهارة الجهود (23)

تختزل هذه القطعة بعضاً من ممارسات صناع السلام العرب بحق شعوبهم ، فتكتفت فيها الصور الفنية ؛ رغبة من الشاعر في إبراز وتجسيد ممارسات الساسة في إذلال شعوبهم واللهثان وراء مصالحهم ، وقد اکتزت بالأفعال المضارعة: " نشكو،يميلون، يقفون، يتركوننا، نصارع ، يلاحقون ،تقيم ، يملؤون ، يتخمون ، يرقصون ، يفرقون ، يبذلون " التي تدل على ديمومة الحدث وحضوريته في بؤرة التجربة ، ديمومة تفتح المجال أمام ممارسات جديدة ومبتكرة دون توقف ، ووسط هذا الحضور للفعل المضارع تداخل معه الفعل الماضي في تشكيل زمني موحد يرتبط ارتباطاً وثيقاً بتداعيات الحاضر والمستقبل ، فقد جاءت الأفعال الماضية على النحو التالي " علا ، أقبلوا " وعند استخدامه للفعل "علا " نجده قدم عليه (إذا) الشرطية المستقبلية ؛ وكأنه يلفه برداء المضارع ليتسق مع الأفعال المضارعة السابقة في حضوريتها وديمومتها ، إلا أنه جاء بجواب الشرط في الزمن الماضي "أقبلوا " ؛ ليحدث تواشجاً زمنياً جذر الشاعر فيه صورة أولئك الساسة من خلال تاريخهم الدموي مع شعوبهم، فهم يقبلون على محاولة إزهاق الحق واللغو فيه ليس في الحاضر فحسب، بل في الماضي أيضاً، ثم عاد الشاعر بعد ذلك لذلك التواشج الزمني متبعاً الماضي بفعل مضارع، ليربط حاضرهم بماضيهم "يلغون" "يبذلون" وهذا التواشج الزمني ليس مستغرباً ؛ لأن المستقبل "لا يولد من لا شيء، فإن بناءه يضطرنا إلى أن نسائل الماضي، لا لكي نستمد منه دروساً وعبراً، بل لكي نستشعر فيه استمراريته، وهي استمرارية عضوية، نابضة بالحياة أحياناً، وقد تكون متصلبة ومتكررة أحياناً أخرى" (24).

وقد روى لنا وليد محمد قصة تتكشف من خلالها الحقيقة المرة التي دفعت القوم للتخلي عن كل المبادئ والثوابت التي اعتنقوها وألزموا أنفسهم بها فترة من الزمن: (من البحر إلى النهر)، " لا صلح ، لا اعترافات ، ولا مفاوضات " (25) كأن كل ما كانوا يرجونه ، ويسعون له هو سلام مع عدو يضمن لهم لذائذ الدنيا على حساب الأوطان والمقدسات:!!

جمعت (مدريد) شمل العرب

وتلاقوا عند قصر الشرق
كل النوق جاءت في ثياب قشب
لبسوا ريش حمامات وطير زغب
كسروا كل سيوف الخشب
لعقوا كل شعارات التصدي ،
والصمود المرعب
كان روح الكامب يعطيهم صموداً من ثم مروا ورقصوا
عند (أوسلو) راحة المغترب
شربوا الأخاب لماً وقعوا
صك بيع القدس للمغتصب
وأتى نوبل في شوق إليهم
ليصافيهم كؤوس الحلب(26)

لقد زخر هذا النص بمجموعة من المفارقات الدلالية التي أومأت إلى معانٍ يدركها المتلقي من خلال تعامله مع النص ومعايشته للواقع ، كما أننا ندرك المعاناة التي أحسها الشاعر أثناء إبداعه "ففي حالات توهج لحظات الإبداع يتبدى تألق اللغة كما تلفها هالات إيحائية مضيئة فتشمر عطاءً سحرياً ، تتمثل في صور شعرية مدهشة وأنساق موسيقية تتفتح على وجدان المتلقي"(27) فالشاعر بدأ قصيدته متحدثاً عن (مدريد) التي جمعت شمل العرب ، ثم يأتي بانكسار دلالي غير متوقع عند القارئ حين يتحول للحديث عن النوق التي جاءت ، وكان من المتوقع أن يحدثنا عن زعماء ورؤساء دول ومندوبين لحضور مؤتمر مدريد ، ثم يواصل انكساره الدلالي حين يجعل النوق قد جاءت في ثياب قشب في إشارة إلى زعماء العرب، ويوالي الشاعر إحياءاته الدلالية " لبسوا ريش حمامات ، كسروا سيوف الخشب ، لعقوا كل شعارات التصدي " وكلها إيماءات توحى بتخلي العرب عن المبادئ والقيم التي كانوا يرفعونها شعاراً في مقابل سلام زائف، وفي انحراف دلالي يدهش القارئ رأى الشاعر أن القدوة والمثل الذي سار إليه أولئك هو (الكامب ديفيد) الذي أعطاهم صموداً، إلا أنه صمود من نوع آخر، لا صمود حق وإصرار عليه، وإنما هو صمود في الإصرار على: التنازل والتخاذل وبيع الأوطان والمقدسات ، وهو ما نفهمه من واقع اتفاقية (كامب ديفيد) والتي تعتبر بداية التنازل عن الحق ، ثم ليكون آخر المطاف لمسيرة النذل (أوسلو) التي يتم التوقيع فيها على بيع كل شيء ؛ ليحصلوا بعد ذلك على جائزة نوبل في الاستسلام وبيع الأوطان .

مشروع السلام برؤية شعراء انتفاضة الأقصى المباركة

ورسم لنا (موسى أبو جليدان) صورة للقمم العربية التي عُقدت ؛ استجابة لضغوط الشارع العربي، إلا أنهم يخرجون بعد كل قمة أكثر: ذلاً ومهانةً وتنازلاً عن الحقوق:

تلمموا ... فأحرموا... فأبرموا
فَيَمَمُوا قِبَلْتَهُمْ ... !
واستأذنوا سيدهم هناك مذعنين
سيدنا: نحن بكم على الشعوب نستعين
لطفاً ! تجاوز شجبنا وندبنا
... فإنه ينفذنا من موقف مهين
توافدوا كأنهم للموت زائرون
وسقطت قلوبهم ودارت العيون
وافتحوا جلستهم بأية وأخذوا لها يرددون
"إن جنحوا للسلم فاجنح "
" إن جنحوا للسلم فاجنح "
هذا هو خيارنا ...!!
جاء به كتابنا المبين
وصية للمصطفى الأمين
قرت عيون القوم ... لكن
قومنا تشبهوا بمالك الحزين ...!!(28)

يعمد الشاعر في هذه الأبيات إلى إعادة صياغة سيناريو الأحداث لمشهد درامي ظهرت فيه صورة الموقف العربي الرسمي بإصراره على: الخنوع والذل وتناقصه مع الأحداث التي يمر بها الشعب الفلسطيني ، فقد حشد الشاعر مجموعة من الأفعال الماضية: (تلمموا، فأحرموا، فأبرموا، فيمموا ، استأذنوا) في تنام درامي يشي بتسارع الأحداث على الساحة العربية ، والتي جعلت القادة العرب يتخذون قرارهم ويحزمون أمرهم لعقد قمة تحفظ ماء وجوههم أمام شعوبهم، وتتصاعد درامية الحدث ؛ كلما اقترب القادة العرب من اتخاذ القرار ويحتدم الموقف ، ويشتد مع تنوع الاستخدام اللغوي " سقطت قلوبهم ، دارت عيونهم "؛ مما يشي بصعوبة الموقف وشدته عليهم ، وبأن هناك قراراً مصيرياً سيتخذه القادة ؛ مما يوجب كل ذلك الإرباك ، وعلى غير المتوقع وبعد هذا التصاعد الدرامي الذي كان من المفترض أن يليه تصاعد أشد، إلا أننا نجد الموقف وقد خُففت حدته ، فانطفاًت جذوته ، ثم بدأ التساقط والانهزام ، حين استغل أولئك القادة

د. يوسف الكحلوت

آية من القرآن الكريم ؛ ليعززوا موقفهم الانهزامي ؛ وليكون السلام هو خيارهم الأوحى في جميع الأحوال ، وقد انتهى الموقف الدرامي بعد تموجه صعوداً وهبوطاً لصالح العدو "قرت عيون القوم" بالنتائج المخزية التي توصل إليها المؤتمرون .

وقد استطاع الشاعر من خلال درامية هذه أن يحدث الأثر المطلوب إذ لا بد له "من الوصول بتعبيره الشعري إلى أقصى أماده من التوتر والتأثير ، كما ينبغي لنبرته ، في أدائه الدرامي ، أن تتوفر على قدر من التموج والتباين . لا بد لها من: أن تعلق وتهبط ، تشف وتتكدر؛ تتسع وتضمر ، تصغي إلى أنين الروح تارة ، وتتفجر بالصراخ الدرامي تارة أخرى ، تتحدث بهمس فاجع طوراً ، وتصيح بمرح بهيج طوراً آخر " (29).

وقد كان اتجاه الشعراء في تصويرهم لمشروع السلام، واقعياً ينقل: نبض المجتمع، حركة الشارع ، فكر المعارض، وتساقط المعاهد في مزيج متموج بين الصعود والهبوط محدثاً درامية للحدث موائمة لدرامية الموقف السياسي وانتقاده .

ويكاد ينفرد شادي الأيوبي في رؤية خاصة لصناع السلام، إذ أنهم لا يقبلون على السلام إلا إمعاناً منهم في إذلال شعوبهم، وليس حباً في السلام كما يتوهم البعض، فمن امتلأت نفسه ظلماً وحقداً أبعد ما يكون عن السلام، ومن شذ سلوكه فامتتهن: الكذب والغدر والسكر لا يمكن أن يرجع مجدداً أو يعيد أوطاناً

الباسطون لأهل الحقد أيديهم	وليس للشعب إلا النار واللهب
والصادقون بحب الظلم لو زعموا	حب السلام لصاح الكون قد كذبوا
يسالمون الذئاب الغادرات فإن	عادوا عشياً إلى إخوانهم ذنبوا
أهولاء السكارى يرجعون لنا	مجدداً طوته ليالي الدهر والحقب؟! (30)

إن الشاعر في رصده للموقف الرسمي العربي من الشعوب العربية استدعى آي القرآن الكريم التي تحدثت عن موقف أخوة يوسف عليه السلام من يوسف، ففي البيت الثالث من هذه القطعة المجترأة استدعى الشاعر قوله تعالى: " قالوا يا أبانا مالك لا تأمنا على يوسف وإنا له لناصحون ، أرسله معنا غداً يرتع ويلعب وإنا له لحافظون ، قال إني ليحزنني أن تذهبوا وأخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون ، قالوا لئن أكله الذئب ونحن عصبة إنا إذا لخاسرون ، فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه في غيابت الجب وأوحينا إليه لتنبئهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون ، وجاءوا أباهم عشاء يبكون ، قالوا يا أبانا إنا ذهبنا نستيق وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب ومأنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين " (31) ؛ لذلك لجأ الشاعر بعد إيضاح الموقف العربي إلى طرح سؤاله الاستنكاري في البيت الأخير من القطعة الذي أظهر عدم ثقته في صدق أولئك

مشروع السلام بروية شعراء انتفاضة الأقصى المباركة

الزعماء في إرجاع الأوطان، أو إعادة الأمجاد ، والشاعر هنا لم يلجأ إلى استلهاهم الماضي دون مبرر ، إنما أتى استلهامه مرتبطاً ارتباطاً عضوياً ببنية النص؛ مما يؤكد أن العملية ليست مجرد اقتباس ، وإنما عملية تفجير لطاقت كامنة في النص المستلهم (32).

ورأى الغامدي في قصة محمود أبي الهنود فرصة لصناع السلام؛ كي يأخذوا منها درساً يوقظهم من غفلتهم ؛ فيعيدهم إلى حقيقة التاريخ التي أغفلوها في خضم تكالبهم على مصالحه اليهود وتقبلهم:

إلى العرب يا محمود

لتخرج المفاوضين

والمكفنين في لفائف السلام...

بأن يجربوا بين فينة لأخرى ... منطق الزنود

ويحسنوا بلاغة الحديد

مضيت للعرب يا محمود؛

لتوقظ الغافين عن حقيقة التاريخ ...؛

وتمنع الرجال أن يصفحوا اليهود ...؛

وأن يقبلوا القروود(33)

إن استدعاء الشاعر لشخصية (محمود أبي الهنود) من خلال استخدامه لتقنية النداء تعظيماً وإجلالاً وإكباراً لهذا المجاهد الذي استطاع أن يهزم جيش العدو، وأن يدحض مقولة الجيش الذي لا يقهر، إن هذا الاستدعاء المتكرر مرتين في هذه القطعة يأتي متعاضداً مع بعض الظواهر الفنية ، والألفاظ ذات الدلالات المعنوية ، فقد اكتنزت هذه القطعة بمجموعة من الصور الفنية التي أبرزت حقيقة الموقف العربي الرسمي وتهافته على السلام مع اليهود في مقابل إبراز صورة المقاوم الفلسطيني الذي استطاع أن يظهر صوراً شتى في البطولة والفداء ، كما اكتنزت بالأفعال المضارعة التي جاءت مرة مسبقة بلام التعليل وأخرى (بأن) الناصبة ؛ مما يضع الفعل في الزمن المستقبل وهو ما يوحي بأمل الشاعر في أن يغير الزعماء من سلوكهم وأن يختاروا الطريق الصحيح الذي يعيد الوطن ويرجع الكرامة ، في حين استخدم الشاعر الفعل الماضي مرة واحدة في قوله " مضيت " حين خاطب محمود أبا الهنود ؛ مما يشي بأن الذي حمل السلاح وقاوم استطاع أن يصل إلى الطريق الصحيح وهو وحده القادر على الاستمرار .

إن استمرار صناع السلام العرب في طريق الخيانة والتنكر لشعوبهم ولدماء الشعب

الفلسطيني ؛ يجعل مصيرهم في الدنيا خزيًا وذلاً وهواناً ، وهو ما عبّر عنه الغامدي قائلاً:

هذي الشهادة أن من خان
الدماء زكية
أو باع فيها واشترى ...؛
سيذوق ألوان المهانة ...
والمذلة .. والرزي (34)

إن تصاعد نبرة الخطاب في هذه القطعة ووضوحه يشي بما وصلت إليه نفس الشاعر من حنق وغضب على صناع السلام العرب ، فلم يعد الأمر بحاجة إلى رمزية أو غموض ، كما أن وضوح الشاعر في توجيه التحذير لأولئك الزعماء يبين مدى تحرر النفس العربية من قيود الخوف والتبعية لهم . إن المعادلة التي صيغت في هذه القطعة إنما تصدر عن فهم الشاعر وقراءته الصحيحة لتاريخ من يخونون شعوبهم ويتركونهم يصارعون العذاب دون أن يمدوا إليهم يد المعونة، والتاريخ حافل بذكر أمثال أولئك وما آلوا إليه من ذل ومهانة.

كما لجأ عبد المحسن مسلم إلى تذكير الزعماء العرب بمصيرهم في الآخرة " ولعذاب الآخرة أذى وهم لا ينصرون " (35) حيث قال :-

يا قدس يا مسرى النبي تصبري	فالنار قد خلقت لأهل النار
للبنائعين شعوبهم وكأثمهم	قطع من الفلين و الفخار
لمقاولين يصدرون ترابهم	ليباع ملفوفاً بدون غبار
يا قدس يا مسرى النبي تصبري	لا بد للجزار من جزار
إن أجروك ففي جهنم وحدها	سيسددون ضريبة الإيجار(36)

إن المفردة الأساسية التي سيطرت على هذه القطعة هم الزعماء العرب ، ورغم ذلك نجد الشاعر يوجه خطابه في بدايتها للقدس، حيث يخاطبها خطاباً رومانسياً ندركه من تكرار النداء واقتترانه بحادثة الإسراء المضاف إلى النبي في ارتكاز ديني يعمق من قيمة هذا المكان ، ومن قيمة النداء أيضاً الذي خصّ بهذا المكان ، كما ندركه من الطلب الذي يوجهه الشاعر إلى القدس، حيث يخاطبها: " تصبري " لا " اصبري"؛ ليزيد في معناها المنبثق من زيادة مبناها؛ ليظهر عظم المصاب الذي حل بالقدس من جهة ، وعظم الجريمة التي وقع فيها الزعماء العرب؛ لتركهم هذا المكان المقدس نهياً للأعداء من جهة أخرى ؛ مما يؤهلهم لعقوبة ربه في الآخرة.

أما الطرف الآخر لصناع السلام (اليهود) فإن التميمي اختصر الطريق على المفاوضين بدعوتهم إلى قراءة القرآن ؛ لأخذ العبرة والعظة منه : حيث قتل الأنبياء ، التأمّر على الأمم والشعوب ، ونقض العهود والمواثيق " وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباعوا بغضب من الله ذلك

مشروع السلام برؤية شعراء انتفاضة الأقصى المباركة

بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون " (37) فالسلام عندهم وسيلة لتحقيق أهدافهم ، ومطية لبلوغ غاياتهم ، وهو ما يفهم من قول (دافيد بن غوريون) أول رئيس وزراء للكيان الغاصب " نحن نحتاج إلى اتفاق مع العرب ، ولكن ليس لتحقيق السلام في هذا البلد ، السلام شئ حيوي حقاً بالنسبة لنا ، فلا يمكن لدولة أن تبنى وهي في حالة حرب دائمة، ولكن السلام لنا هو مجرد وسيلة، والهدف هو الوصول بالصهيونية إلى أعلى غايتها ؛ لهذا السبب فقط نحن نحتاج إلى السلام، فالشعب اليهودي لا يمكن ولن يجروا أن يقبل أي اتفاق لا يخدم هذا الهدف " (38) . قال الشاعر :

اقرأوا القرآن يا قومي لم لا تقرءونه ؟

كم نبي وتقي دون حق يقتلونه!

كم عهود وخفروها واتفاق يهدرونه!

لو هدمتم لهم الأقصى ودمرتم حصونه

وبنيتم لهم الهيكل أو ما يطلبونه

ثم أهديتم فلسطين لهم دون مؤونة

طالبوكم عبر أمريكا وأوروبا بإبداء المرونة

هذه القصة ... لا سلم ولا ما يحزنونه (39)

أراد الشاعر في هذه القطعة أن يؤصل لموقفه من اليهود من خلال رفق هذا الموقف بالقرآن الكريم الذي عبرت آياته بشكل دقيق وعميق عن علاقة اليهود بغيرهم من أصحاب الديانات الأخرى، إلا أنه يوجه الدعوة لأصحاب السلام من بني العرب لقراءة القرآن؛ مستوحياً ذلك من قوله تعالى : "أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها" (40) ثم يأتي الاستيحاء مكثفاً من الآيات التي تتحدث عن أخلاق اليهود وأولائها : قتلهم الأنبياء ؛ مستوحياً ذلك من قوله تعالى : "وقتلهم الأنبياء بغير حق" (41) كما أنهم ناقضوا العهود ؛ مستوحياً ذلك من قوله تعالى : "أفكلما عاهدوا عهداً نبذه فريق منهم" (42) وهم قوم عهد عنهم : المماطلة والجدل والرغبة في إيذاء الآخرين فكل تنازل من الآخر يفتح شهيتهم لمزيد من التنازلات وقد جاء قول الشاعر متماهياً مع قوله تعالى : "ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم" (43) .

إن الشاعر في استلهامه المكثف لخطاب القرآن الكريم في اليهود إنما يتركز على مرجع مهم يفرض حضوره على الساحة السياسية الراهنة ، فالقرآن استفاض : بذكر اليهود وطبائعهم وتاريخهم وأساليبهم ، كما أن هذا الاستلهام يعيد القضية الفلسطينية إلى عمقها الإسلامي ، ويربط وعي المثقفي بمخزونه الثقافي حين تومي القصيدة "إلى ما يقع خارجها من نصوص وأحداث

د. يوسف الكحلوت

ومرويات تفتح: ميراثاً وجدانياً ومعرفياً مشتركاً بين الشاعر والجمهور ، وتوقظ الذاكرة الوجدانية الجمالية للمتلقي ؛ ليبدأ نشاطه في استقبال القصيدة والتماهي معها " (44)

ولجأ أحمد الفيافي في رسده للموقف اليهودي من السلام إلى مخاطبة غصن السلام في إشارة إلى غصن الزيتون الذي يمثل تجذر الفلسطيني بأرضه ، ويأتي ربطه بالسلام محاولة من صناعه لتزويق سلامهم المزعوم وسلخ الفلسطيني عن جذوره التي يمثلها الزيتون محور ذاكرته المرتبطة بالأرض ، ورغم ما منحه غصن السلام من : أمن وأمان وحنان لليهود ؛ إلا أنهم تنكروا له واستمروا في: الغدر ، الجحود ، التمرد ، والتقتيل :

ما الخطب ... يا غصن السلام؟

ما الذنب ... يا غصن السلام؟

ظللتمهم ... ووهبتهم عهد الأمان

فما شكروك!

بل جحدوا بالأمان

وطويتهم تحت الجناح

لكي يعيشوا في سلام

فأنكروا ذاك الحنان

وتمردوا

وغدوا لتقتيل الأنام

وبدا لنا غصن السلام

يقول : هل لي موطن

أحيا بلا فوضى وأبسم للصغير

وأمسح الدمع ...

فلا يشقى صغير أو كبير ؟ (45)

لقد أجاد الشاعر رسم صورته التي شخص فيها السلام ، فبدأ التشكيل بتساؤلين للغصن يحملان مزيجاً من التعجب والاستنكار والاستهزاء من واقع السلام ، واستمراراً في هذا التشكيل التشخيصي للغصن ، جعله: يسأل ويسأل ويجيب ويهيب ويقطع عهداً بالأمان ، وتزداد الصورة قتامةً عندما يقابل هذا الغصن بالجحود والنكران من يهود ، ثم لجأ الشاعر إلى تصوير الغصن بطائر يطوي مدّعي السلام اليهود تحت جناحه ؛ ليعيشوا بأمان وسلام ؛ فيلقى نفس النتيجة الفاتمة السابقة ، وفي انكسار تشكيلي للصورة بدا الغصن على غير المتوقع ، ومن خلال الواقع الذي

مشروع السلام برؤية شعراء انتفاضة الأقصى المباركة

جوبه به يبحث عن موطن يحيا فيه ؛ ليمارس وظيفته التي خلق من أجلها ، ومع أناس يقدرون مهمته ؛ فيحفظون عهده.

وقد لجأ الغامدي إلى وصف صناع السلام من الطرفين العربي واليهودي بالمجانين ، وهم يتوافدون على العواصم بالوثائق والخرائط والحقائب.

وترى مجانين السلام

تجاذبوا ...

وتدافعوا ...

كالعيس أسكرها الحدا

وترى الوفود تسابقوا ...

نحو العواصم :

بالوثائق ... والخرائط ... والحقائب

حشداً ... (46)

إن لجوء الشاعر إلى التشكيل الكتابي في هذه المقطوعة وخاصة علامات الحذف التي جاءت في البداية بعد الأفعال المضارعة : " تجاذبوا .. تدافعوا .. " ووضع كل كلمة في سطر شعري مستقل مع ترك هذا الفضاء خلفها؛ يشي بدوام هذا التدافع والتجاذب واستمراره دون توقف ، كما أننا نجد الشاعر يتوقف بعد كلمة "تسابقوا" في السطر الخامس بعلامة الحذف ... ؛ مما يرمي إلى رغبة كل وفد من الوفود العربية في الحصول على رضى الطرف الآخر لعملية السلام " اليهود " وقد كثف الشاعر من علامات الحذف في نهاية هذه القطعة ، إلا أن هذا التكتيف جاء بعد أسماء: " بالوثائق .. والخرائط .. والحقائب " وكأن الشاعر يريد أن يعطي للمتلقي مساحة للتأمل فيما تحويه كل كلمة من معاني ، ثم أتت علامة الحذف في السطر الأخير تاركة خلفها فضاء واسعاً بعد كلمة " حشداً " ؛ مما يعطي مجالاً آخر للتأمل ، فبدل أن يحشد الزعماء العرب الجيوش للدفاع عن فلسطين وتحريرها فإنهم يحشدون الوثائق والخرائط والحقائب؛ للتنازل عنها.

إن توالي اجتماعات صناع السلام في كل قطر وبلد ، وخروجهم بوثائق سرية تارة ومعلنة تارة أخرى ، يشي بما يعرف بالمؤامرات أو الطبخات السرية التي تعد لتأكلها الشعوب ، فنكتشف بعدما تترع بطونها: المصائب والويلات وضياح الحق ، وانتهاك العرض وهدم المقدسات ؛ لذلك رأى الشاعر خميس دعاة السلام في مطبخ ملوث بالسموم ، وكل ما ينتج عنه مكتوب بحبر الهزيمة ثم موقع بصك الخيانة ، فقال:

دعاة مطبخ السلام قلبوا

مطبّخكم به السموم تشرب
طعامكم مسمم معلب ، مطعمه مجرب
سلامكم ملوث منصب
ما تم إلا طبخة عبرية
مذاقها معرب (47)

لقد برز التقسيم الموسيقي في هذه القطعة إلى جانب التصوير، ومن خلال الدفقات الإيقاعية التي جاءت على شكل مقارنة ؛ برز وجه الشبه بين الطعام الملوث بالسموم و بين عملية السلام ، وهو تقسيم يبرز التعاضد بين الإيقاع والمضمون فما أحدثه الطعام المسمم من نتيجة مأساوية سيحدثه السلام أيضاً ، وقد برز التقسيم الموسيقي بين " طعامكم مسمم معلب ، مطعمه مجرب" وبين سلامكم ملوث منصب ... مذاقها معرب " .

إنّ الذين اختاروا هذه الطريق " فئة من الناس ترقع دنيا غيرها بتمزيق دينها ، ولا دنيا تصيب ولا ديناً تبقي ، وهذا حال ينطبق ... على المفاوض العربي فهو من جهة لم يحصل من الدنيا بحسب مشروع غزاة أريحا ... إلا فتات مائدة إسرائيل ... ولن يصيب من الآخرة شيئاً بعد أن قفز على رأي الشارع الحكيم في هذه المسألة إلا أن يعود إليه بتوبة صادقة " . (48)

المبحث الثالث

ثمار السلام

منذ بدأ مشروع السلام ما انفك صناعه يؤملون الشعوب باقتصاد مزدهر ، و حياة رغيدة، ومستقبل مشرق، حتى بدأت تنكشف الحقيقة ، فإذا بالأمال تتحول سراباً ، والثمار عواقب، وخيبة يتجرعها الشعب ولا يسيغها ، وقد كان لهذا السلام المزعوم أثره البالغ على جميع الأصعدة ...، على الفرد الفلسطيني ، وعلى الأرض والشعب والمقدسات وعلى العالم العربي والإسلامي وعلى الدنيا بأكملها ، وقد ضمن شعراء انتفاضة الأقصى تلك الآثار في أشعارهم . وقد أوضح عبد العزيز العزاز الكيفية التي يتم بها إغواء الشعوب ، حيث يبدأ الحديث عن السلام براقاً ينبهر به السذج والمتخاذلون ، وقصّار النظر ، فهو حديث يبعث على الطمأنينة والاستقرار؛ مما يجعل النفوس تهفو إليه وترجوه ، وتقبل عليه بفطرتها ، فيستغل المتآمرون ذلك الإقبال لتقديم مشاريعهم المشبوهة مزوقة بأبهى الحلل ؛ لينكشف عنها الزيف والضلال ، ثم يظهر خداعها حين: تضيق الأرض ، وينتهك العرض ، وتدنس المقدسات ، فتسود شريعة العدو ، وعندئذ يطاع أمره ، وينفذ قراره ؛ عندها تدرك الشعوب فداحة ذاك السلام وخطره ، فقال:

مشروع السلام بروية شعراء انتفاضة الأقصى المباركة

نبغي سـلاماً عالمياً شاملاً بنجاحه سترفرف الأعلام
قالوا سنخطب بكم وودادكم وتوحد الأفـراح والآلام
سنوقع العهد الأكيد موثقاً وبحينه ستحقق الأحلام
ونشيد السوق التي في شرقنا؛ ليكون حل بيننا وحرام
وسياحة شرقية غربية فخلاعة ومحبة وغرام
ويوجه الشعب البغيض لحبنا ويثقفون لتلقح الأفهام
ويوقرونا هيبة لجلالنا ويكلمونا : أيها الأعمام
فإذا بدا منا قرار أيـدو نا عند هذا يحكم الحاخام
وتحكم الآيات من تلمودنا وبغيره لا ترتضى الأحكام
وتكلم الأفواه عن قرآنهم ويلجـمـون ويحكم الإلجام
وتظـل إسرائيل حاكمة الدنيا تنهى وتأمـر والورى خدام (49)

لقد حشد الشاعر في هذه القطعة عدداً كبيراً من المتقابلات اللفظية والتي جاءت على النحو التالي: " الأفراح والآلام " " حل ، حرام ، " شرقية عربية " " البغيض ، حبنا " " حاكمة ، خدام " ، " تنهى ، تأمر " وهذا التقابل اللفظي لم يأتِ اعتباطياً ؛ وإنما صدر عن فهم عميق لدى الشاعر بنفسية العدو ، هذا ما أدركناه من ارتفاع نبرة الرفض وعدم الاقتناع بقول العدو بمجرد حدوث فعل القول " قالوا " وقبل أن تبدأ تفصيلاته، وترديد الشاعر فعل القول الماضي المتصل بضمير الرفع الجمعي الغائب "قالوا " ؛ مما يشي باستبعاد أولئك القوم من نفسه من ناحية ، وبالشك في صدق القول من ناحية أخرى ، وإذا دققنا النظر قليلاً في كل متقابلين؛ فإننا سنكتشف الوجه الآخر للعدو ، كما أننا يمكن أن نستقرئ في القطعة مبدأً مهماً يتبناه العدو الصهيوني ويطبقه وهو مبدأً " الغاية تبرر الوسيلة " فإذا كانت الغاية هي إقامة إسرائيل الكبرى التي يدين لها العالم كله أجمع : بالسمع والطاعة والولاء ، وهو ما عبّر عنه الشاعر في البيت الأخير من القطعة ، فإن الوسيلة ستكون : الخداع والزيف والإفساد بشتى الوسائل ، وهو ما عبّر عنه في الأبيات الأولى من القطعة .

ويستقرئ الغامدي ثمار السلام من واقع العرب المعيش ، فيقرأ فيه: الذلة ، الهوان ، الاستكانة والخضوع لقوى الكفر والضلال ، وكأنه يستقرئ قول الشاعر :

من يهن يسهل الهوان عليه ما لجرح بميت إيلام (50)

فالذي يقبل بتسليم الأرض والتتكر لتاريخ الأمة التليد ؛ يسهل عليه أن يكون عبداً بعد ذلك لكل طاغوت ومتجبر على هذه البسيطة ، وهذا حال حكام المسلمين اليوم الذي عبّر عنه سعد الغامدي قائلاً:-

إن أقسى ما نعاني منه نسيان
عدو... همه أن نشرب الموت الزؤام
... أن يضم الأرض للأرض
ويعطيها لشذاذ لئام
همه أن يعلن الحرب علينا
كل عام ...
وعلينا نحن أن نرضى بهذي الحرب ...
لا نحتج حتى بالكلام ...
وعلينا بعد أن نرضى ...
فلا تحقيق في ظلم
ولا شكوى
ولا حتى ... احتكام
وعلينا أن نرضى ...
وإلا

حرك الوجه علينا العم سام (51)

لقد رسم لنا الشاعر في هذه القطعة صورتين متقابلتين، ففي الأولى : صورة صانع السلام اليهودي والثانية : صانع السلام العربي ، وقد استخدم الشاعر وسائل تعبيرية استطاع من خلالها أن يجلي التناقض بين الصورتين ، ففي الصورة الأولى لليهود حشد الشاعر مجموعة من الأفعال المضارعة التي تشي بالحركة الدعوية والعمل المستمر من قبل العدو؛ للقضاء على الطرف الآخر من صناع السلام العرب وهو ما نفهمه من: شرب الموت ، وضم الأرض وإعطائها لشذاذ لئام وإعلان الحرب ثم يلقوا ذلك كله ببناء السلام ؛ إخفاء لأفعالهم المشينة ، وفي الثانية : صورة العرب والتي بدأت مينة هامة ؛ وهو ما نفهمه من الألفاظ والعبارات: " أن

مشروع السلام بروية شعراء انتفاضة الأقصى المباركة

نرضى المتكررة ثلاث مرات " لا نحتج ، لا تحقيق ، لا شكوى ، لا احتكام مما يشي بما أحدثه السلام على العربي من: ذل ، هوان ، تبعية ، وخضوع .
وقد ذهب التميمي إلى أبعد من ذلك حين صور السلام بالإعصار الذي لا يخلف إلا دماراً وفناءً:
للشجر، والحجر والإنسان ، بل والحياة قاطبة ، فلا يبقى ولا يذر وهذه الآثار أصبحت واضحة في كل الأرض الفلسطينية:

عن قريب تلد الأجواء إعصار السلام

وعلينا وعليكم ... وعلى الدنيا السلام (52)

أما عبد الرحمن بارود فقد نظر إلى آثار السلام على الفرد الفلسطيني ، فوجده إنساناً متقللاً بهموم تصل به إلى فقدان صوابه ، وذهاب عقله ؛ لذلك طرح سؤاله في البيت الأول والذين قرأنا فيهما المساواة بين السلام والمستحيل اللذين يصعب تحققهما كما رأى الشاعر :

أو هذا هو السلام المرّجى ؟
أي شيء إذن هو المستحيل ؟

سوف يهوي بك الجنون قريباً في رحى وطؤها عليك ثقيل (53)

إننا نلاحظ من هذا الأتمودج والأتمودج السابق اتفاق الشعارين في نظرتيهما للسلام وإن اختلف أسلوبهما في التعبير عنه إلا أننا نجد أن المفهوم الأول عند التميمي يؤدي إلى نفس نتيجة المفهوم الثاني، فإذا كان الإعصار يحدث الدمار والخراب الذي تختفي معه كل مظاهر الحياة وبالتالي استحالتها ، فإنه يكون قد وصل إلى ما أراده الشاعر عبد الرحمن بارود من استحالة الحياة في ظل ما يدعى (بالسلام) ؛ لذلك نجد الشاعر عبد الرحمن بارود استنكر في لهجة انفعالية حادة وجود السلام؛ ليتحول درامياً إلى تساؤل ساخر عن المستحيل في إشارة إلى توحيد السلام والمستحيل في نظره، ثم تخف النبوة الانفعالية في الثاني حين تحول إلى أسلوب السرد الخبري ؛ ليقطع جازماً بما سيحدثه السلام على الإنسان الفلسطيني ؛ فاستخدم " سوف " المستقبلية المؤكدة للفعل المضارع " يهوى " الذي يشي بسقوط يتبعه همود وموت وهو الأثر المباشر للسلام المدمر .

ووصل الأمر (بفاروق جويده) إلى إعلان موت فلسطين ؛ لأن من وكّلوا الدفاع عنها واسترجاعها ليسوا أهلاً لهذه المهمة ، ففاقد الشيء لا يعطيه ، فهم لا ينطلقون في حلها من منطلق عقدي ؛ ولا يملكون مرتكزاً ثابتاً يستند إلى شرعة السماء ، فنظرتهم تقتصر على أنها مشروع وطني ذو أبعاد سياسية مختلفة يتغير ويتبدل حسب الأوضاع المحلية والدولية ، فلا غضاضة عندهم إن انتقص من أرض الأنبياء وأرض المقدسات ؛ لأجل تحقيق مصلحة جزئية ، أو هدف

د. يوسف الكحلوت

صغير ، وهو أمر متوقع من أمثال أولئك ، فقد أنبأنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم- عن أمثال أولئك عندما قال: " إذا وسد الأمر لغير أهله ؛ فانظروا الساعة " (54) فقال الشاعر :

ماذا تبقى من بلاد الأنبياء ؟

ما بين (أوسلو) والولائم ...، والموائد والتهاني ...، والغناء

ماتت فلسطين الحزينة؛

فاجمعوا الأبناء حول رفاتها

وابكوا كما تبكي النساء

خلعوا ثياب القدس

ألقوا سرها المكنون في قلب العراء

ماذا تبقى من بلاد الأنبياء ؟

في خانة التطبيع

يسكر ألف دجال وبين كؤوسهم

تنهار أوطان ... ويسقط كيرياء (55)

إننا أمام مرثية من نوع خاص ارتفع فيها أنين الشاعر وزفراته الحرى وبكائه المتفجع فهي صدرت عن معاناة حقيقية للشاعر ، ترجمها على شكل دراما بكائية بدأها بتساؤل " ماذا تبقى من بلاد الأنبياء؟" والذي جاء عنواناً للقصيدة الطويلة ومتكرراً في ثناياها سبع مرات وهي لازمة إيحائية استنكارية حملت معنى التحسر وأومات إلى سلسلة التنازلات التي يقدمها المفاوض العربي في مقابل ما يسمى بالسلام ، وقد تجلت درامية الأحداث في انتقال الشاعر من ضمير الغائب " ماتت " إلى ضمير المخاطب المسند إلى فعل الأمر " اجمعوا ، ابكوا " ثم عودته إلى الضمير الغائب المسند إلى الفعل الماضي مرّة أخرى "خلعوا ، ألقوا " وقد ساعد اكتناز النص بالصور المجازية على إثراء التحولات الدرامية وتضاعفها ولعل الشاعر أراد من تكثيف هذه الصور أن يبرز ويجسد الحالة التي وصلت إليها فلسطين والقدس بسبب المفاوضات .

إن الناظر إلى الأشعار السابقة وإلى الواقع الذي يعيشه الشعب الفلسطيني يدرك أن السلام بمفهومه السائد هو الدمار بعينه؛ لذا فإن من يتعاطى هذا السلام أو يقتنع به إنما هو كمن يتعاطى الخمر ، وإذا كان القرآن قد حدد عقوبة متعاطي الخمر بالجلد ، فلا بد أن تكون عقوبة متعاطي السلام كذلك ، وهو ما ذهب إليه محمد الشهري:

دعانا اليهود ليسقوننا سلام الخيانة أو نبعدا

فلما أبينا سقوا غيرنا وهل ينجون من سقاه العدا؟

مشروع السلام بروية شعراء انتفاضة الأقصى المباركة

فرق السلام به خمرة تجرر أمتنا في الردى
يعيش بها الرأس في سكرة وتوجب للظهر أن يجلدًا (56)

لقد حشد الشاعر مجموعة من الظواهر الفنية ، إلا أن أكثر هذه الظواهر بروزاً هو التصوير المجازي الذي جسد أثر السلام على الأمة الإسلامية وهو ما نفهمه من استيحاء الشاعر لحد من حدود الإسلام في قوله : " وتوجب للظهر أن يجلدًا " وهو حد يُطبق على شارب الخمر ، أراد الشاعر أيضاً لمتعاطي السلام ؛ كون السلام والخمر يؤديان لنفس النتيجة التي أوضحها الشاعر بقوله : "تجرر أمتنا في الردى " .

وهكذا نجد أن ثمار هذا السلام المزعوم ما زادت : أرضنا إلا خسفاً ، وعرضنا إلا هتكاً ، ومقدساتنا إلا تهويداً ، وعدونا إلا قسوةً وجبروتاً ، وحالنا إلا ضعفاً ومهانةً ؛ لذلك كثرت التساؤلات الحائرة في شعر أولئك الشعراء عن جدوى هذا السلام ؛ مما دفعهم إلى تقديم الحل الشافي الذي يضع حداً لكل هذه التنازلات ، وهو ما سنتناوله في المبحث القادم .

المبحث الرابع

الحل كما يراه الشعراء

لقد اکتوى الشعراء كباقي أبناء الأمة من مشروع التسوية المذل ؛ لذلك حاول كل شاعر أن يقدم حلاً لا يستند إلى التسوية بل إلى الملحمة ، لأن ما أخذ بالقوة لا يرد إلا بالقوة ، خاصة مع عدو فكره عنصري وتاريخه دموي ، ومن الشعراء الذين تحدثوا عن الحل ، عثمان حسين الذي رأى أن الجهاد أسلم الطرق وأقصرها ، وهو سبيل العزة والكرامة وعودة المقدسات :

يا أمة الأقصى استفيقي وانهضي من فوض الرحمن فهو يعين
بثوابت الأشبال ندرك ثأرنا وجميعنا بجهادهم مفتون
فهو السبيل لعزة مثلومة وسبيله يا صاحبي لميين (57)

لجأ الشاعر في هذه المقطوعة إلى استنهاض الأمة من خلال النداء الذي يضرب على جرح غائر في ضمير الأمة فهو ينادي الأمة مضافة إلى الأقصى مكنم الجرح ومصدر الألم ، ثم يردف الشاعر النداء بطلب من خلال فعل الأمر "استفيقي" المزيد بثلاثة أحرف وهو ما يجعل الفعل أكثر حركية وهو ما يحتاجه الشاعر من الأمة ، فالاستفاقة تحتاج إلى عمل دعوب فإذا ما انتقل إلى فعل الطلب الثاني " انهضي" فإن الشاعر يكتفي بالفعل مجرداً من الزيادة ؛ لأن ما يحدثه الفعل الأول يكفي لحدوث الفعل الثاني "انهضي" الذي حمل معنى الجهاد وهو ما نفهمه من عجز البيت الثاني الذي يريد أن يصل إليه الشاعر كحل وحيد لقضية فلسطين .

أما صالح العمري فإنه استشرف الأمل من مبشرات الشرع والدين والتي لها من الثواب

د. يوسف الكحلوت

ما جعل مبشراتنا أمراً واقعاً لا ريب فيه ، لذلك يوجه دعوة إلى أبطال الأمة وأنصار القدس إلى إحياء سنة الجهاد كحل وحيد لإعادة الأرض والمقدسات :

يا من تطامن للأفعى وملمسها
وبين أنيابها سم الثعابين
آمنت بالحرب يا جند السلام فهل
ألفتهم بين نيران وبنزين؟
لي موعد فيك يا أقصاي أنشدته
موثق في عرى شرعي وفي ديني
يا نصره القدس ... يا أبطال أمتنا
ما أجمل القتل في أحفاد صهيون!
أحيوا الجهاد وشدوا العزم وانتظروا
إشراق خير أو أنسام حطين (58)

لقد وثق الشاعر إيمانه بالحرب بمجموعة من الإشارات التاريخية التي أكدت صدق إيمانه وسلامة معتقده ، فهو يؤمن بعودة المسجد الأقصى وتحريره من الغاصبين مشيراً إلى ما ذكره القرآن الكريم في سورة الإسراء من حتمية عودة المسجد الأقصى إلى حضن الإسلام ، وذلك في قوله تعالى: " فإذا جاء وعد الآخرة ليسؤوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا" (59) لذلك نجد الشاعر يستشرف المستقبل ويحلم بالفترة التي تسبق تحرير فلسطين والتي يشند فيها القتل في اليهود ؛ مستلهماً ذلك من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم " لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود ، فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر ، فيقول الحجر أو الشجر يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي خلفي فتعال فاقته إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود" (60) ومع امتداد أمل الشاعر الذي استلهمه من القرآن الكريم ثم من الحديث تأكد لديه هذا الإحساس بالنصر حينما تراءت أمام ناظريه انتصارات خير وفتوحات حطين مؤكداً أن بالجهاد والعزم يتحقق النصر ؛ فتعود الأوطان .

أما التميمي فإنه لا يرفض السلام كمبدأ ؛ ولكنه يتبنى مفهوماً جديداً له ، فالسلام تصنعه الأهوال والآلام والموت يبعث فيه الحياة ؛ لذلك نجده يتبنى الجهاد حلاً باعتباره طريق: العزة والهيبة والمنعة ، وطريق السلام أيضاً، كما وجه الشاعر استنكاراً لاذعاً لمن يرفض هذا الطريق أو يبطله ، في إشارة إلى قرار منظمة المؤتمر الإسلامي التي عقدت في باكستان والذي أسقط فريضة الجهاد في تحرير الأوطان .

أقولها صريحة:

إن السلام دربه الخنادق

والهول والآلام لا الفنادق

الموت يحيي روحه والسيف لا الوثائق

إن الجهاد عزة وهيبة تثبتتها الحقائق

مشروع السلام بروية شعراء انتفاضة الأقصى المباركة

لا يبطل الجهاد إلا مارق منافق (61)

لقد جاءت قصيدة الشاعر على تفاعيل بحر الهزج (مفاعيلن)؛ لتتماهى مع نفسية الشاعر الغاضبة من مشروع السلام ، (فالهزج) يتردد الصوت فيه ويتردد في آخر كل جزء فيه سببان خفيان(62) ؛ مما يجعل إيقاع تفاعيله سريعاً يتوافق مع نفسية الشاعر الثائرة ، فتفعيلة (مفاعيلن) تبدأ بوتد مجموع (o//) تمكن الشاعر من إخراج دفعته الشعورية ضمن الإطار اللغوي لتتلاشى بعد ذلك الدفعة الشعورية مستغرقة في السببين الخفيين ، وقد كان لهذا التدافع الإيقاعي والتدفق الشعوري أثر في حسم الموقف من قبل الشاعر في رفضه مشروع السلام فطرح البديل الجهادي ، ثم جاء الإيقاع الترددي للحرف (إن)؛ ليؤكد نظرتة كما جاء التضاد بين " الخنادق والفنادق " ، " الموت ويحيى " ؛ ليؤكد الدلالات المعنوية المرادة ، والتي تفيد أن السلام المنشود لا طريق له إلا الجهاد الذي تبرز فيه روح الشهادة، وقد جاءت كلمة القافية مقيدة(بحرف القاف)، وهو من الأحرف الشديدة المجهورة ؛ مما يوائم اندفاع الشاعر في بوحه بالحقائق الصريحة التي لا تعجب بعض الناس .

ورأى محمد صيام أن الحل مع العدو يكمن في مصارعتة وطعانه، بل إنه يحرم أي حل آخر يخالف طرحه؛ لأن الحقوق لا تستجدي؛ وإنما تنتزع انتزاعاً، وهو ما عبر عنه بقوله :

قف يا لسان عن الكلام وليشطب القلم السلام

... ولتنتفض هذي الجموع كأنها الموت الزؤام

لتقول للدنيا بمجملها وتعلن للأنام

قتل الغزاة هو الحلال وما عداه هو الحرام

... يا من يريد العز لا تستجد من قاص ودان

حلاً فإن الحل يكمن في الصراع وفي الطعان (63)

لقد جاءت القطعة السابقة تغلي بالغضب والثورة التي جسدت حالة القهر التي يعيشها الشاعر؛ بسبب السلام المزعوم ؛ لذلك جاءت عباراته قذائف تتفجر منها الكلمات ، فقد سيطرت أفعال الطلب على القطعة وكلها أفعال صارخة ثائرة : " قف ، ليشطب ، لتنتفض ، لتقول ؛ لا تستجد " وهي أفعال حملت في طياتها رفضاً قاطعاً للسلام ودعوة للثورة عليه ونبذه وشطبه ، كما أن هذه الأفعال جاءت متعاضدة في ثورتها مع مفردات القطعة : " الموت الزؤام ، قتل الغزاة، الصراع ، الطعان " وهو ما أراد الشاعر حلاً لقضية فلسطين ، رفضاً لما سواه .

ولقد تنبه الغامدي إلى أهمية تنقية الصف الداخلي من الذين يخدمون مصلحة يهود عن قصد أو جهالة ؛ لأن وجود أمثال أولئك داخل الصف يضعفه ، ويفت من عزيمته ، خاصة أن

د. يوسف الكحلوت

ذلك الصنف تدعمه كل قوى الكفر والضلال في العالم ، وهو ما حدث على أرض فلسطين الطاهرة ، حيث ارتضى ذلك الصنف لنفسه أن يلاحق كل مجاهد ، وكل حر أبي يدافع عن إسلامية الأرض و قدسية التراب ، وعدالة القضية ، حيث قال :

فكيف نتقي أذى يهود

إن لم نمارس حقنا؟؛

كي يظهر الحق؛

وكي يسود

إن لم نحرر الصفوف من هوى يهود؟

إن لم نميز

بين واقفين تحت راية القرآن ...،

وواقفين تحت راية التلمود (64)؟

لقد بدأ الشاعر هذه القطعة بتساؤل حائر "كيف نتقي" ثم أتبع تساؤله بتقنيات أسلوبية متكررة في القطعة أبرزها تقنية الشرط الذي يتبعه الفعل المضارع المنفي بلم " إن لم نمارس، إن لم نحرر ، إن لم نميز " وهو ما يعكس حالة الضياع التي يعيشها المواطن العربي المغيب عن قصد من قبل حكامه عن المشاركة في تقرير مصيره ووضع الحلول لقضاياها والتي أبسطها اتقاء أذى يهود .

ولقد فاض الكيل بالتميمي ، حتى طلب الرحمة من تجار السلام كيف يوقفون مؤامراتهم واجتماعاتهم المتكررة التي يعقدونها في شرق المدن وغربها مؤذنين بفتح مزاد علني تتقاطر إليه الوفود من الدول المختلفة لا لشيء إلا لأجل إيجاد أقصر السبل لإعطاء فلسطين لليهود ؛ لذلك طرح الحل الذي لا طريق غيره لإعادة الحقوق ، ألا وهو قراع وجهاد فوق صهوات الجياد، حيث قال:

ارحمونا من تفاهات حلول في المزاد

ما رضينا ، فقبول الظلم ظلم ، والرضى بالعار عار

قد نذرنا دمنا زيتاً لقتل الجهاد

حلنا يأتي عزيزاً فوق صهوات الجياد (65)

لقد لف الشاعر خياره الجهادي الذي ارتآه لقضية فلسطين بالتصوير المجازي ، حيث جسده إمعاناً في إبراز صدقه ، وقد جاء خياره هذا بعد رفضه القاطع والمعزز بالبراهين لأي خيار يتعارض معه ، ومن هنا يتضح أن " لغة الصورة لا تأبه بانتقائية المعجم الشعري ولا تحفل

مشروع السلام بروية شعراء انتفاضة الأقصى المباركة

بشفافية المفردة ، وإنما تغامر ببث فلذات لا تتعزل عن سياقها وشذرات لا تثبت عن مساقها". (66) .

ويوجه النحوي لأمتة نداء استفاقة لكي تنهض من كبوتها ، وتصحو من غفلتها ، موضعاً لها الطريق السديد ؛ للوصول إلى هدفها ، ألا وهو الجهاد ؛ ولأنه يريد أن يدعم خياره بقناعات تصل إلى أذهان أمتة لجأ إلى بيان معنى الجهاد وفوائده والتي يمكن أن تتحقق: للأرض والعرض والإنسان؛ كونه طريق عزم وحسم، لا : حلولاً تخضع لأهواء بشر ، ومخططات مغرضين ومؤامرات دخلاء، فقال:

انهضي أمتي أفريقي ففي الدر ب دواه يشيب منها الوليد
لا تولوا عن الجهاد؛ ففيه عزمة الحق والسبيل الوحيد
إن معنى الجهاد نهج كريم لا ارتجال فيه ولا تبديد
الطريق القويم أشرق بالحق وهذا سبيله الممدود (67)

لقد خاطب الشاعر في البيتين الأولين عاطفة المتلقي من خلال استخدامه للأسلوب الإنشائي الأمر والنهي: "انهضي، أفريقي، لا تولوا" ؛ وذلك ليستثير مكامن الحماسة فيه ، وليهيئ الأذهان لخطاب العقل من خلال الأسلوب الخبري المؤكد (بن) الذي أعرب فيه أن نهج الجهاد هو النهج الكريم الأوحى ، وهو الطريق القويم المشرق ؛ لذلك أرفد الشاعر هذا التوكيد بالنفي مرتين: " لا ارتجال ، لا تبديد" ؛ لينفي عنه كل سائبة تنقص من قيمته .

وعلى نفس النهج في استخدام الأسلوب الإنشائي، ثم الأسلوب الخبري لمخاطبة الوجدان والعقل؛ سار سميح العمري في تقديم الحل والذي رآه متممًا بدرج الجهاد لا السلم :

يا مسلمين تحرروا وتبينوا درب الجهاد سبيلنا المعهود
بالنصر ترجى عزة وكرامة بالدين والإسلام سوف تعود
لا سلم لا استسلام مهما حاولوا إن الحماس هو الذي سيعود (68)

ويتفق العزّاز مع النحوي والعمري في رفض القيد باتخاذ الجهاد حلًا وحيدًا له، وهو ما اتفق عليه معظم شعراء انتفاضة الأقصى ، فقال :

فلن نرضى لقيد الظلم حلًّا سوى حدّ الأسنة والصفاح
برايات الجهاد نخوض صفًّا وخيل الله تركب في انتضاح
ونسعرهم بنيران لظاهما يذاق مع اغتباق واصطباح
فسيروا للجهاد بلا تـوان جحافل حافلات في رداح (69)

هكذا جعل شعراء انتفاضة الأقصى الجهاد حلًّا جذريًّا لهذه القضية المقدسة استقرأوه من

د. يوسف الكحلوت

الواقع ، واستمدوه من التاريخ ، وخبروه من القرآن ، واهتدوا به من هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولقد كان ماثلاً في أذهانهم قول الله تعالى : "انفروا خفاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون" (70) وقول النبي -صلى الله عليه وسلم- : "لغدوة أو روحة في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها" (71) وقول علي بن أبي طالب -رضي الله عنه - : " فوالله ما غزي قوم في عقر دارهم إلا نلوا " (72).

إن هذا الحل الذي قدمته الشعراء ليس بدعاً ، وإنما هو ما نصت عليه المادة التاسعة من الميثاق الوطني الفلسطيني ، وقد ورد فيها : "الكفاح المسلح هو الطريق الوحيد لتحرير فلسطين وهو بذلك استراتيجية وليس تكتيكاً" (73) كما ورد في المادة الخامسة عشرة من ميثاق حماس: أن الجهاد فرض عين على كل مسلم؛ حال اغتصاب الأعداء بعض أرض المسلمين ، وفي مواجهة اغتصاب اليهود لفلسطين؛ لا بد من رفع راية الجهاد (74) .

هوامش البحث ومصادره ومراجعته

- (1) انظر ، الحكم الذاتي الإسرائيلي والرفض الإسلامي : صادق عبد الرحمن (المركز الإسلامي ، بيت المقدس ، ط 1-1991) ، ص 125
انظر ، الموقف الإسلامي الخالد من القضية الفلسطينية والحلول السلمية (غزة ، ___ ، ___) ، ص 20، 21
- (2) الحكم الذاتي الإسرائيلي والرفض الإسلامي ، 125
- (3) انظر ، مشاريع تسوية قضية فلسطين من عام 1920 حتى نهاية 1991: زكريا إبراهيم (غزة ، ___ ، 1991) ، ص 67-86
- (4) انظر ، سلسلة انتفاضة (2) _أوراق سياسية ، وثائق، مبادرات، اتفاقيات ، إعداد : إسماعيل الأشقر ومعين بسيسو (غزة ، المركز العربي للبحوث والدراسات ، 2003) ص 64
- (5) ديوان هاشم الرفاعي " المجموعة الكاملة " جمع وتحقيق محمد حسن بريغشي (الأردن ، مكتبة المنار ، ط 2_1985) ، ص 378
- (6) أبو فراس الحمداني _ الموقف والتشكيل الجمالي : النعمان القاضي (القاهرة ، دار الثقافة، 1982) ، ص (و) من المقدمة
- (7) www.palestine_info.net
<http://64.33.100.75/adabiat/groub6/saadalgamede8.htm>
- (8) القرآن الكريم : سورة البقرة ، آية 100

مشروع السلام برؤية شعراء انتفاضة الأقصى المباركة

- (9) المركز الفلسطيني للإعلام www.palestine_info.net
<http://64.33.100.75/adabiat/groub5/afeefi3.htm>
- (10) انظر ، أبو فراس الحمداني ، الموقف والتشكيل الجمالي : النعمان القاضي ، ص 403
- (11) مختارات من شعر انتفاضة الأقصى المباركة (1) جمع ودراسة : يوسف شحدة الكلوت (غزة ، ___ ، ط2002، 1) ، ص617
- (12) السابق 618
- (13) الشعر العربي المعاصر _ قضاياها الفنية المعنوية : عز الدين إسماعيل (القاهرة ، المكتبة الأكاديمية ، ط5_1994) ، ص249
- (14) مختارات انتفاضة الأقصى المباركة ، ص562
- (15) السابق ، ص342_343
- (16) واحة الأدب http://www.pal_almusima.com/saleh/9q.php
- (17) مسلسل الأوهام _ دراسة في المشاريع السلمية المطروحة منذ عام 1920-1989: محمد شهاب (غزة، ___ ، ___) صفحة المقدمة.
- (18) القرآن الكريم : سورة البقرة آية 100
- (19) معالم في الطريق إلى تحرير فلسطين ، ص21
- (20) مختارات من شعر انتفاضة الأقصى المباركة ، ص577
- (21) السابق ، ص560
- (22) أبو فراس الحمداني، الموقف والتشكيل الجمالي: النعمان القاضي، ص403 وانظر، هكذا تكلم النص: محمد عبد المطلب(القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1997) ، ص105.
- (23) المركز الفلسطيني للإعلام www.palestinian_info.net
<http://64.33.100.75/adabiat/groub6/saadalgmede.htm>
- (24) فلسطين أرض الهالات الإلهية:رجاء جاروري،ترجمة: عبد الصبور شاهين (القاهرة ، دار التراث ، 1986) ، ص60
- (25) انظر ، مشاريع تسوية قضية فلسطين من 1920حتى نهاية 1991، زكريا إبراهيم (غزة ، ___ ، 1991) ، ص63
- (26) مختارات من شعر انتفاضة الأقصى المباركة ، ص312.
- (27) لغة الشعر العربي: عدنان قاسم (الكويت، دار الفلاح، 1989) ، ص157.
- (28) مختارات من شعر انتفاضة الأقصى المباركة، ص604،603.

د. يوسف الكحلوت

- (29) البنية الدرامية في القصيدة الحديثة : على جعفر العلق ، فصول ،م7، 1986 ، ص39
- (30) مختارات انتفاضة من شعر انتفاضة الأقصى ، 246
- (31) القرآن الكريم _ سورة يوسف عليه السلام ، الآيات من 11 إلى 17.
- (32) انظر الشعر العربي المعاصر: عز الدين إسماعيل، ص29.
- (33) مختارات من ديوان انتفاضة الأقصى، 193
- (34) السابق ، ص190
- (35) سورة فصلت ، آية 16
- (36) مختارات من شعر انتفاضة الأقصى المباركة، ص473.
- (37) سورة البقرة ، آية 61 .
- (38) المفهوم الإسرائيلي للسلام _ دراسة في فكر الدولة الصهيونية_ قضايا فكرية :إيمان حمدي الكتاب السادس (القاهرة ، ___ ، 1988) ، ص70 .
- وانظر الحكم الذاتي الإسرائيلي والرفض الإسلامي : صادق عبد الرحمن (القدس ، المركز الإسلامي للدراسات والأبحاث ، ط1_1991) ، ص5.
- (39) مختارات من ديوان انتفاضة الأقصى ، ص395_396.
- (40) سورة محمد، آية 24.
- (41) سورة آل عمران، آية ،181.
- (42) سورة البقرة، آية100.
- (43) سورة البقرة، آية 120.
- (44) الشعر وضغوط التلقي: على جعفر العلق (مقال بمجلة فصول، 1996) ص 163.
- وانظر، القول الشعري: رجاء عيد(مصر_ منشأة المعارف، 1995، ص162).
- (45) مختارات من ديوان انتفاضة الأقصى، ص71_72
- (46) السابق، ص184.
- (47) السابق، ص119.
- (48) قراءة أولى في اتفاق غزة أريحا أولاً (غزة_، _) ، ص4
- (49) السابق، ص383.
- (50) ديوان أبي الطيب المتنبي :عبد المنعم خفاجي وآخرون (مصر، مكتبة مصر للطباعة،--) ، ص 356
- (51) مختارات من ديوان انتفاضة الأقصى، ص181-182.

مشروع السلام برؤية شعراء انتفاضة الأقصى المباركة

- (52) السابق، ص 396.
- (53) السابق، ص 265.
- (54) صحيح البخاري: البخاري " أبو عبد الله محمد بن إسماعيل" مراجعة وضبط وفهرسة: محمد قطب وآخر (بيروت، المكتبة المصرية، 1997) ج 1 حديث رقم (59).
- (55) مختارات من شعر انتفاضة الأقصى، ص 511-512.
- (56) السابق، ص 560.
- (57) السابق، ص 479.
- (58) السابق، ص 270.
- (59) سورة الإسراء آية 7.
- (60) صحيح مسلم بشرح النووي، تحقيق وفهرسة: عصام الصباطي وآخرون من (القاهرة، دار الحديث ط1، 1994) ج 9، ص 270 حديث رقم 2922.
- (61) <http://alsaha.fares.net/sahat?14@221.dakekgutmon.o@.eeab467/87>
- (62) الوافي في العروض والقوافي: التبريزي " الخطيب التبريزي" تحقيق: عمر يحيى وآخر (دمشق، دار الفكر، ط3، 1979)، ص 107.
- (63) مختارات من شعر انتفاضة الأقصى، ص 563.
- (64) <http://64.33.100.75/adabiat/group6/Saadalgamede.htm>
- (65) السابق، ص 389.
- (66) القول الشعري: رجاء عيد(مصر، دار المعارف، 1990)، ص 116.
- (67) <http://64.33.100.75/adabiat/group4/alnahawi.htm>
- (68) مختارات من شعر انتفاضة الأقصى، ص 224.
- (69) السابق، ص 386.
- (70) سورة التوبة، آية 41.
- (71) صحيح مسلم، ج 7، ج رقم (1880) ، ص 32.
- (72) نهج البلاغة: للإمام علي رضي الله عنه، تحقيق: عزيز الله العطاردي (سوريا، المستشارية الثقافية الإيرانية، ط3، 1996) ، ص 35
- (73) القضية الفلسطينية بين ميثاقين " الميثاق الوطني الفلسطيني وميثاق حركة المقاومة الإسلامية حماس (الكويت، مكتبة دار البيان، ط1_ 1989) ، ص 86.
- (74) السابق، ص 103.